المواجهة في الشعر العباسي - (شعراء القرن الرابع الهجري انموجاً -

ا.م.د. فهد نعيمة البيضاني/ كلية التربية/ الجامعة المستنصرية
ا.م. د. اسراء خليل فياض/ كلية التربية/ الجامعة المستنصرية

التمهيد

ان مصطلح المواجهة هو شامل لكل ما يكون ويقابلهُ أو يرادفهُ في المعنى، الاحتجاج، الرفض، الاصطلاح، والتغير، والصراع، والمقاومة، والثورة، ويكون مرادف لمعانٍ سلبية: مثل الحزن، والزهد، واليأس. وقسم البحث الى أربعة محاور منها الدافع القومي الذي ظهر بسبب تسلط الغرباء على كرسي الحكم، فكان أنموذجاً المتنبي، والشريف الرضي اللذين هما عربيين من نسلين طاهرين وتجلى الدافع الثاني في الدافع الديني ومثَّل في الشريف الرضي وأبو العلاء المعري، وكان المحور الثالث هو الدافع السياسي وما واجهت الأمة في القرن الرابع الهجري وما آلت إليه سياسة البلاد، وكان ممن تصدى لهذه المرحلة المتنبي وأبو العلاء المعري وكان الدافع الرابع هو الذاتي الذي هو من أهم المحاور والمواجهات فبرز بشكل واضح عند المتنبي والشريف الرضي.

مفهوم المواجهة

المواجهة في اللغة: هي المقابلة، والمواجهة استقبال الرجل بكلامه أو وجههُ، ولقيهُ وجاهاً، ومواجهة: قابل وجههُ بوجههِ[١]. ويكون المعنى الاصطلاحي للمواجهة هو : (الرفض) إن الشاعر والأديب في مواقف كثيرة يرفض الحالات السلبية في المجتمع التي لا تتفق مع المفاهيم التي تغذى عليها من التزام في القيم السامية فنراهُ يواجهها بشتى الوسائل المتاحة لديه وقد تكون ردة فعلٍ تصدر منهُ حسب الظروف التي يعيشها الشاعر فنجد لديه معايير يلتزم بها.

((يقوم الالتزام في الدرجة الأولى على الموقف الذي يتخذهُ المفكر أو الأديب أو الفنان منها، وهذا الموقف يقتضي صراحة ووضوحاً وإخلاصاً وصدقاً، واستعداد المفكر الملتزم على التزامه دائماً ويتحمل كامل التبعية التي تترتب على هذا الالتزام)) [٢].

التزام الشاعر مواقفه كأن تكون قضايا سياسية، أو اجتماعية، أو ثقافية فنراهُ يطلق عنان الشعر بنصرة هذه القضايا. فشعر المواجهة هو الشعر الذي ينشأ في عصر ما، ردّ فعلٍ على مواقعٍ مرفوض، من ذاتهِ أولاً بوصفهِ إنساناً. وثانياً لدوافع أخرى تتباينُ بتابينِ ظروفِ العصرِ ومتغيراتهِ. والواقعُ: هو كل شيء فرضَ وجودهُ عل عصر ما، فواقع العصر الجاهلي قبليٌ، وواقع العصر الاسلامي ظهور الاسلام، أي إن واقع أي عصر يمثل التحولات التي أصابت ذلك العصر وفرضت وجودها، فيكون الأدب الذي ينشأ معارضاً ومتمرداً على تلك التحولات والمتغيرات، هو (أدب المواجهة) بمعنى أن المجتمع قد رضخ لتلك المتغيرات ولكن الشاعر المواجهِ لم يستجب لها، فتكون ردة فعلٍ أجمع الشاعر قواهُ لشعره في تحدي ما لا يوافق الشاعر من المفاهيم المتسلطة، ورد الفعل من قبل الشاعر ذا طبيعتين: إحداهما خارجية والأخرى داخلية، فالخارجية هي ردّ الشاعر الى الآخرين لدفعهم على تغيير الواقع. وهذه هي المواجهة الحقيقية التي تدفع الشاعر للمواجهة بشعرهِ، أما الداخلية، فهي التي تتحول الى ردّ فعلٍ نفسي داخلي، أي ينطوي الشاعر على نفسهِ وذاته مستسلماً للواقع، لأنهُ أقوى منهُ، محتفظاً بمبادئهِ ومنهجهِ، وهذه مواجهة غير حقيقية.

إذ إن للشعر والشاعر وظيفة حقيقية اجتماعية يجب أن يؤديها إذ يكون رافضاً للواقع في أغلب الأحيان حتى لو كان هذا الواقع جيداً لأنه يحلم بواقع أفضل منه فهو يريد دائماً أن يحول الواقع الى حلم والحلم الى واقع[٣].

وتختلف المواجهة من شاعر الى آخر ومن فئة الى أخرى باختلاف الشكل الذي تتخذهُ، ويمكن تقسيم المواجهة على قسمين، الأول المباشرة أو الصريحة، والثاني غير المباشرة فهي تأخذ سبيلاً لتغيير الواقع المرفوض كما في شعر الشريف

الرضي أو المتنبي أو ابن نباته السعدي. وهذه تمثل الدعوة الى تغيير الواقع المرفوض كما يقول ابن نباته السعدي ت ٤٠٥هـ[٤].

أترى الأعاجم أرواحكـــــم وأنتم ترعون ترب البطاحِ
فسيروا إليهـــم بملومـــــــة غـــــدوا أوائلها للرواحِ

فهذه مواجهة مباشرة للشاعر وهي مواجهة صريحة في رفض الواقع وتغييرهُ الى واقع مطلوب، أما المواجهة غير المباشرة للتعبير عن ذاتهِ الرافضة للواقع منها اثبات الذات والتغني بالبطولة والفروسية والفخر في مواجهتهِ فنرى طرفة بن العبد[٥].

الى أن تحامتني العشيرة كلهـــا وَأفـــــرِدتُ إفراد البعير المعبدِ

فنرى الشاعر يُحبب الاعتزال لأنه رأى الذل بين قومهِ.

إن أدب المواجهة يفضي على الشاعر الصدق والوضوح والاخلاص، والصدق قائم على الالتزام. وشعر المقاومة يختلف عن شعر المواجهة، إن المقاومة هي القوة الرئيسية التي تبعث بعدم الاستسلام للواقع من خلال التجسيد للغزو الأجنبي والسلطة المستبدة، فمهما تكن المواجهة تتطور لتصل للمقاومة. أما شعر الثورة فهو تعبير أشمل وأوسع حيث يشمل المقاومة والمواجهة. وأدب المقاومة وأدب المواجهة يلتقيان في البعد الإنساني[٦]. والشعر العربي مليء بمظاهر المواجهة للوقوف عل بعض مراحلهِ الوضاءة وبطبيعة العشر العربي هو تمرد واحتجاج وصراع ومواجهة وثورة على جميع المحاور النفسية والاجتماعية السياسية. والشعر الجاهلي هو أساس الشعر العربي وما يمثلهُ الفخر بالقبيلة والانسان والتغني بمفاخرها عبر بروز الجانب الذاتي والتمرد على قوانين القبيلة فنرى الشاعر طرفة بن العبد يقول[٧]:

ولكن مَولايَ امرُوءٌ هو خانقي على الشكرِ وَالتسالِ أو انا مُقتَدِ
وَظُلمُ ذوِي القُربى أشد مَضاضة على المرءِ من وقعِ الحُسامِ المهنذِ

وهنا تصريح مباشر أن أقاربهُ يضيقون عليه حتى وإن افتداهم نفسه ويبلغُ الأثر النفسي عليه فتُهيجُ أحزانه وهي أشد وقعاً عليه من السيوف القاطعة. والشاعر ذو الأصبع العدواني يقول[٨]:

يامن لقلب شديد الهم محزون أمسى تذكر رياً أم هارون

هو تحسس الشاعر من المأساة بين القبيلة الواحدة والتفرق والقتال لذا نجد الرفض من قبلهِ وتتعالى صرخاتهِ لوقف هذا، النزيف، والقتال الدامي. وإن أدب المواجهة لم يكن من مبتدعات شعراء القرن الرابع الهجري، إنما الأدب العربي قد سبق هذا القرن ابتداءً من عصر ما قبل الاسلام مروراً بالعصر الاسلامي والأموي والعصر العباسي الأول. ونجد في شعر الصعاليك في عصر ما قبل الاسلام من أدب رافض لنظام القبيلة والأعراف السائدة في المجتمع[٩]. ومنها المشاعر القومية التي تمثلت بالصراع مع الفرس في يوم ذي قار وما حققهُ العرب من انتصار تأريخي غيّر الحياة العربية وخذلان الفرس وهزيمتهم فيقول الأعشى[١٠]:

فدىً لبني ذُهلِ بن شَيبان نَاقَـــتي وَرَاكِبُهـــــا يَومَ اللقَاءِ وقلّتِ
هُمُ ضَرَبُوا بِالحنوِ حِنوِ قَراقِرٍ مُقدَمَة الهامَرزِ حتـــى تولتِ

وشهد العصر الأموي ألواناً من شعر المواجهة من طبيعة الحكم والموقف منهُ ونقدهِ وسلبيات الحياة الاجتماعية وسوء الإدارة كما قال الراعي النميري[١١]. ت ٩٦ أو ٩٧هـ

أبلغ أميرَ المؤمنينَ رسالـــــــة شكـــــوَى إليكَ مُظلة وعَويلا

من نازحٍ كثُرت إليك هُمومهُ لـــــو يستطيعُ الى اللقاء سبيلا

عربٌ نرى لله في أمـــــوالنا حـــقُ الزكاةِ مُنزلاً تنزيلا

خطابَ الشاعر(الخليفة) للتظلم من الأوضاع التي عاشها المجتمع من جوع وهذه مواجهة مباشرة. أما في العصر العباسي الأول الذي تميز بازدهارهِ ومن أبرز المواجهة عند بشار بن برد ١٦٧ هـ قال[١٢]:

إذا الملكِ الجبار ُصعّرَ خَده ُ مشينا إليهِ بالسيوفِ نُعاتُبهُ

إن الملك إذا أدارَ وجههُ عن الناس واحتقرهم فنعاتبهُ وننكر عليه. ووقف شعراء المواجهة من حالات ضعف الوازع الديني وانتشار ظواهر اللهو والمجون ومعاقرة الخمرة وسوء توزيع الثروة "شاخت الدولة العباسية مبكراً بالنسبة الى عمر الدولة فلم يمضِ عليها أكثر من ربع قرن إلا وبانت عليها مظاهر الانحلال والتجزئة. ويوم حل عهد المعتصم بن الرشيد صار الطريق سالكاً أمام الترك والديلم وغيرهم ممن تغلغلوا في خدمة القصور"[١٣].

إن حالة الإحباط التي عاشها المجتمع العربي في العصر العباسي في القرن الرابع الهجري هو عصر تقلبات وصراعات واضطرابات فعاش الشعراء واقع القرن وعبَّروا عن ذلك برفض الواقع المتردي بجميع جوانبه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية وقد أستغل الشعراء المناسبات للتعبير عما آلت إليه الأمور.

فتم تقسيم البحث على أربعة محاور وهي :

المحور الأول: الدوافع القومية

المحور الثاني: الدوافع الدينية

المحور الثالث: الدوافع السياسية.

المحور الرابع: الدوافع الذاتية.

المحور الأول

في الحقيقة أن كل شاعر في العصر العباسي يكاد يكون ظاهرة مواجهة، ولكن هناك بعض أغراض الشعر العباسي منها أغراض الغزل، والتصوفِ والزهدِ والمُجون هي أغراض عبّر عنها بأنها مواجهة غير مباشرة واتخذت المواجهة المباشرة منها الدوافع القومية والدينية، والسياسية والذاتية. ويهمنا من هذا القرن الرابع الهجري. هو شعر المتنبي، وشعر الشريف الرضي كونهما علويين ومن أهم دوافع المواجهة:

١) الدافع القومي

هذا العصر من أخطر العصور التي أُبتليت بها الأمة بسبب ضعف هيبة الدولة العباسية فبعد أن كان الخليفة العباسي أعلى سلطة في البلاد العربية أصبح يُخلع من كرسيهِ كما ينتزع الخاتم متى أراد الحاكم البويهي. وقد أنبرى الشعراءُ العربِ في مواجهة هذه الهجمة ويدفعهم ذلك اعتزازهم بأمتهم ودينهم وتاريخهم. ويتجلى الدافع القومي في المواجهة المباشرة عند المتنبي ت ٣٥٤ هـ وهو ساخطٌ على وضع أمته التي يحكمها الأعاجم معتزاً بعروبته فيقول[١٤]:

أفعال ُمن تلدُ الكِرامُ كريمـــةٌ وفعـــــال من تَلِدُ الأعاجِمُ أعجمُ

عَبَّرَ عن اعتزازهِ بكرامة العرب وقيمهم النبيلة ونجد رفضهُ في أن تحكم الأعاجم وقد استرقوا أسيادهم وأصبحوا هم الأسياد وإن الفعل كالنسب يشابههُ فمن كرُمَ كرُمت أفعالهُ ومن لُئمَ لُئمت أفعالهُ. ويصرّح مرة أخرى[١٥]:

لا شيءَ أقبَحُ من فحلٍ لَهُ ذكـــرٌ تقودهُ أمة ليست لها رَحِـــمُ

ساداتُ كُلِّ أناسٍ من نُفُوسِهـــمِ وسَادَةُ المسُلمينُ الأعُبـــــدُ القَرَمُ

أغاية الدّينِ أن تحَفوُا شَوارِبَكم يا أمةً ضحِكت مِن جَهلِها الأمَمُ

هنا فيه هجاء كافور فيرفض التحكم بمصير الأمة الاسلامية وما آلت إليها فيقود الأمة من هو فحلٌ ليس له رحم ويتحكم بمصيرها في عزل الولاة وخلعِهم وهذه الأقزام التي تحكم العربُ وتقودها الى الولايات ولم يبقَ من الدين إلا حف الشوارب حتى ضحكت منكم الأمم وهذه مواجهة مباشرة في إنكار طاعة الأسْودِ وهو كافور.

في النص المذكور تعبير صريح عن نزعة بدوية حفز الشاعر جنوده وإن أرض أعدائنا تتحول الى ساحة تبرهن شجاعة الفرسان ورفض الذل. وللمتنبي صولة أخرى فيقول[١٦]. من قصيدة يمدح بها ابراهيم التنوخي :

وإنما الناسُ بالملوكِ ومَـــــا تُفلحُ عُربٌ مُلوكها عجمُ
لا أدبٌ عندهُم ولا حسبٌ ولا عهودٌ لهم ولا ذممُ
بِكُلِّ أرضٍ وطِئتُها أمَمٌ تُرعَى بِعَبدٍ كأنّها غنمُ

فيصرح المتنبي أن الناس بالملوك يرتفعون وإن العرب إذ ملكهم العجم لم يفلحوا لما يتسم من تفاوت وتنافر، والحسب من المفاخر التي يمتاز بها العرب وان العجم لا يمتازون بها. ويتجلى الدافع القومي في مدح المتنبي لسيف الدولة ومواجهتهُ للمطامع الأجنبية وسيف الدولة عربي يدافع عن العروبة، فيقول[١٧]:

رَفَعت بك العَرَبُ العمِادَ وصَيرت قمـــــمَ الملوك مواقِدَ النيرانِ
أنسابُ فخرهِم إليك وإنمّـــا أنســـــاب أصلهم الى عدنانِ
يا من يُقتلُ من أرادَ بسيفـــــهِ أصبحـــت مِن قتلاك الاحسانِ
فإذا رأيتكَ صار دُنك ناظري وإذا مدحتك صار فيك لسانِ

ومن اعتزازه باللغة العربية هي احدى المواجهات الرافضة فيقول[١٨]:

جُهدُ المُقِلِّ فكيفَ بابن كريمةٍ تؤُليه خيراً واللسان فصيح

أما الشريف الرضي ت٤٠٩هـ، فقد شَهِدَ في حياتهِ خلعُ خليفتين هما: (المطيع والطائع) ، وصُودِرَ ما خزانتهما فعلى صوتهُ مدوياً في مواجهة ذلك العصر في الدفاع عن القومية العربية (إن نزعة الشريف القومية وتمردهُ على الواقع جعلتهُ يسجل مواقف فيها تحدٍ واضح للوجود الأجنبي ومنها نستشفُ رفضَ الشريف لهذا الوجود واقعاً ومستقبلاً) [١٩]. فيقول[٢٠]:

أذكرونا يوم ذي قار وقـــد أقبـــلوهُ عارض الطعن بـــــردْ
رُحِضَ الأغلفُ في تيّـــاره وَرَدَ العِلـــــجُ وما كادَ يـــرِدْ

فعبّر الشريف في مواجهة ورفض واقع الأمة وذكّرهم بيوم ذي قار التي أحتلت مكانة جميلة وذكريات لا تنسى من ذاكرة العرب وانتصارهم على الفرس. ويقول الشريف الرضي[٢١]:

كم اصطبار على ضيمٍ ومنقصَةٍ وكَمْ على الذّل إقرارٌ وإذعانُ
ثوروا لها ولتهُن فيها نفوسكُمْ إن المنـــــــــاقِبَ للأرواح اثنان

ويصرح الشاعر تارةً أخرى ومواجهة مباشرة فيقول[٢٢]:

نبّهتُهم مِثلَ عَوَالي الرِمـــــــاحِ الى الوغى قبلَ نُهومِ الصبـــــاح
فوارِسٌ نالوا المنُى بالقتـــــــا وصَافحُوا أغراضهُم بالصّفاح
فإننّا في أرضِ أعدائِنـــــــا لا تطأ العذراءَ إلا سفـــــاح

٢) الدافع الديني

في سبات الأمة وجهلها وظهور الاسلام ودخول صوتهِ في مسامع العرب وشروق شمس جديدة على العرب وحملوه الى مشارق الأرض ومغاربها وبقيَّ الإسلام عاملاً رئيسياً في تماسك الدولة العربية الاسلامية ووحدتها وقوتها، وحين أطلَّ القرن الرابع الهجري بدأ الوازع الديني يضعف نتيجة سيطرة أقوام دخيلة، وأن دخول هذه الأقوام الى الاسلام هو أهداف سياسية وعَصَبية، وبث السموم داخل المجتمع الإسلامي من لهو ومجون وفساد وتعاطي المحرمات، وشَعَر أبناء الأمة بخطر هذا التهديد ولم يصمتوا أمام ذبلك بل واجهوه بشعرهم والدفاع عن دينهم ومواجهة التيارات المنحرفة، فظهرت حركات الزهد والتصوف من أجل شدّ الناس الى الله. إن الحديث عن الدين هو أحد دوافع المواجهة عند الشريف بما تغذى به من مبادئ سامية فلابد لنا أن نذكر مأساة آل البيت عليهم السلام وما تركتهُ على نفوس الشعراء الموالين ومنهم شاعرنا الذي وصف في شِعرِهِ من حزن ولوعة وندبة تركت أثرها عليه وما مثلت من مأساة هزت العالم الإسلامي وآثرت أن أشير الى هذه المأساة وكنت أكتب البحث في أجواء أربعينية الإمام الحسين عليه السلام فعدت أحد وسائل الرفض والمواجهة عند الشريف الرضي فيقول(٢٣):

كربَلا لا زالتِ كربـــــا وبــلا ... ما لـــــقي عنـــــدك آل المصطفى

كمْ عَلى تُربِكِ لمّا صُرّعُـــــــوا ... من دمٍ ســـــال ومـــــن دمع جرى

يـــــا رســـــول الله لو عاينتهــم ... وهـــــم مـــا بين قتلى وسبـــا

من رميض يمنـــع الظل ومـــــــن ... عاطـــشٍ يسقـــى أنابيب القنـــا

لرَأت عَينَـــاكَ مِنهُـــمْ منظـــراً ... للحشـــى شجـــوا وللعين قـــذى

ليـــس هـــذا لرسول الله يـــا ... أمة الطغيـــان والبـــغي جـــزا

فنرى صوت الشريف الرضي يصدح بشعره فيقول(٢٤):

ما عذرَ مثلي في نقصٍ وقولتـــهُ ... إني الرضي وَجدي خاتم الـــرسل

فالشريف الرضي صاحب النسب الشريف يواجه مجتمعهُ الذي انتشرت فيه الموبقات التي أدخلها بعض الأقوام الدخيلة. وإن الرضي لمكانتهِ حصر آلامهُ في الذود عن الاسلام فيقول(٢٥):

إن آثِرَ الخطب فلا روعةٍ ... أو عُظم الأمر فصبرٌ جميل

ليهونِ المرء بأيامـــــهِ ... إن مُقـــام المـــرء قليل

إنّا الى الله وإنّا لـــــــه ... وحسبُنا الله ونعم الوكيل

إن الشريف الرضي صاحب النسب والخلق النبوي الرفيع، ((قال صاحب اليتيمة هو أبدع أبناء الزمان وأنجب سادات العراق، يتحلى مع محتده الشريف ومفخرة المنيف بأدب ظاهر، وفضل باهر)) (٢٦). فيقول(٢٧):

إذا العَدّو عُصاني خَافَ حَدّ يـدي ... وعِرضُهُ آمن من هَاجِراتِ فمي

جَعلتُ سمعي على قول الخنا حَرَماً ... فأي فاحِشةٍ تدنو الى حَـــــرمِ

يَكادُ أنفي إذا ما استاف مرتبة — من التواضعِ ينضو خُلْعة الشمَمِ

فينتقل الشاعر الى المواجهة غير المباشرة بعدما أحسَّ باليأس واستسلم للواقع لما آلت إليه الأمور فيقول(٢٨):

كنا نعظم بالآمال بَعضَكُمُ — ثَم انقضت وتساوى عندنا الناسُ

لمَ تفضلونا بشيءٍ غير واحـــدةٍ — هي الرجاءُ فسّوى بيننا اليأسُ

انبرى أبو العلاء (ت٤٤٩هـ) أن يقول كلمة الحق بعدما جُعلت السيوف في مغامدها وأصبح الناس صمٌ بكمٌ في مواجهة الانحرافات فيقول(٢٩):

ومعفرةَ الله مـــــرجـــوةٌ — إذا حُبست أعظمى في الرحمْ

مجاورُ قومٍ تمشي الفنـــــاءَ — ما بين أقـــــدامهمِ والقمِم

رأيتُ بني الدهرَ في غفلةٍ — وليست جهالتـــُـهم بالأَمم

فنُسك الناس لضعف العقول — ونُسك أناس لبُعـــد الهمم

وينتقل الى المواجهة غير المباشرة بعد أن كلَّت الألسن في مناداة الناس وحثهم الى الطريق الصحيح فيقول(٣٠):

يا رب أخرجني الى دار الرضى — عجلاً فهذا عالم منكـــوس

ظلوا كدائرة تحول بعضـــــها — من بعضها، فجميعها معكوس

وأرى ملوكاً لا تحوط رعيـــة — فعلام تؤخذ جزيةٌ ومكوس

يقول أبو العلاء ((قد كدت ألحق برهط العدم، من غير الأسف ولا الندم، ولكنما أخشى قدومي على الجبار)) (٣١) وأنه أراد الخلاص من الدنيا لما أحاطت به آلام النفس من أُناس باعوا دينهم بدنياهم فيقول(٣٢):

لو لم تكن طرق هذا الموت موحشة — مخشية لاعتراها الناس أفواجا

وكان كل من ألقت الدنيا عليه أذى — يؤمها تاركاً للعيش أمواجا

كأس المنية أولى بي وأروح لـــــي — من أن أعالج أثراء وأحواجـا

٣) الدافع السياسي

في ظل الظروف التي كانت في القرن الرابع الهجري وما آلت إليه الظروف السياسية من تمزق الدولة العباسية وسيطرة الدولة البويهية وشهدت تسلطهم وانهيار حكم العرب، وبقيت من الخلافة سوى اسمها وبسبب هذا الواقع المتردي كثرت الثورات وعمت الفوضى السياسية وأصبح الخلفاء ألعوبة بيد البويهيين فكثرت المظالم والمفاسد. وقد انبرى شعراء المواجهة لرفض هذا الواقع المتردي فالمتنبي حمل لواء الرفض ومواجهة الحكام وفسادهم، واستنهاض قومهُ والثورة عليهم بأسيافهم العطشى للدماء فيقول(٣٣):

أيملك الملك والأسياف ظامئة — والطير جائعة لحم على وضم

يدعو العرب بالثورة وإظهار قوتهم وإنهم أقزام أمامكم وأرانب فقدم الأرنب على الملوك وهو استعارة أن الملوك يموتون من الأكل لا في الحرب فيقول(٣٤):

أرانبُ غير أنهم ملوكٌ — مفتحةٌ عُيونهُم نيامُ

بأجسام يحر القتلُ فيها — وما أقرانها إلا الطعام

ويشتد الصراع عند المتنبي ووصلت عند الملوك بعدم الاهتمام بطبقة الشعب واستشراء المجون والفسوق والترف المادي، فيقول(٣٥):

وسعى فقَصَّرَ عن مداه ُفي العُلـــى أهلُ الزمانِ وأهلُ كل ّزمانِ
أتَخِذوا المجالسَ في البيُوتِ وعنِــده أن السُروج مجالسُ الفتيـــانِ
وتوهمُوا اللعِبَ الوَغى والطَعن في الـ ـــهيجاءِ غَيرُ الطعن ِفي الميدانِ

فنرى الشعراء يتحينون المناسبات من أجل دفع المجتمع للثورة على الطغيان وتغيير واقع الأمة من ظلم الى مواجهة الذل والهوان، ويصدح صوت المتنبي مرة أخرى أن الناس تساووا بالشر والذل دون الخير والسمو ولم يعول عليهم وصورهم بأنهم أشباح وليسوا أشخاص والاستفهام عنهم بما وليس ومن، فيقول(٣٦):

وإنما نحنُ فجاجيل سواسيـــــةٍ شر على الحُر من سُقمٍ على بدنٍ
حَولي بكل ّمكانٍ منهُمُ خلقٍ تخُطيء إذا جئتَ في استفهامِها بمنِ

ويصرح مباشرة بعدم الانخداع ببكاء الأعداء وعدم استعطافهم لأنهم إذا ظفروا لم يرحموا وإراقة دماء من لم يستحقوا السلام فيقول(٣٧):

لا يخدَعنكَ من عــدوٍ دمعـــــهُ وأرحم شبابَك من عدُو ترحم
لا يسلم الشرفُ الرفيعُ من الأذى حتـــــى يـــرُاقَ على جوانِبهِ الدمُ

أن الرفض والمواجهة النفسية غير مباشرة كانت حاضر عند أبي العلاء ولم يغفل عن مواجهة كلُ من حوله واختلاف المقاييس وزيف القيم وإدراكه لفساد العصر فيقول(٣٨):

لما رأيتُ الجهلَ في الناس فاشيـــاً تجاهلت حتى ظَن أني جاهـــــلُ
فوا عجباً كم يدعي الفضل ناقصٌ ووا أسفاكم يظهر النقص فاضل
وقال السهى للشمس أنت خفيـــــة وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
فيما موت زُر إن الحياة رخيصـــة و يا نفس جِدي إن دهرك هـــــازل

وتبلغُ المواجهة المباشرة عند المعري ذروتها على الحكام الذين كانت همهم السلطة وغير مهتمين بأمور الرعية وعامة الشعب فيقول(٣٩):

ملوكنا الصالحون كلهم زيرُ نساءٍ يهُش للزيرة

وأصبح الحكام لا يحملون سوى الاسم ويفتقدون الى الحكمة والعقل في تدبير أمور البلاد ويتذمر الشاعر منهم فيقول(٤٠):

يسوسون الأمور بغير عقلٍ فينفذ أمرهم فيقال ساســـة
فأفٍ من الحياة وأفٍ منـــي ومـــن زمنٍ رئاستهُ خساسة

وينطلق الشاعر انطلاقة أخرى فيروض نفسه كترويض الخيول والسيوف كالمقاريض ويكلم الناس كلاماً ظاهرياً يخالف باطنهُ فيقول(٤١):

قد رُضت نفسِي حتى ذل جامحُها فما أصاحبُ صعب النفس ما ريضا
يا ألسُنا كسيوف الهند خِلقَتهُا ما لي رأيتك أشبهت المقاريضـــــا
إن الغُمود إذا سُلّت صوارمهـــا قَلنَ اليقين والغين المعارضيـــــــا

٤) الدافع الذاتي

إن الدافع الذاتي من أهم المحاور في هذا البحث ويأتي من النظرة الانسانية أي إن هذا الدافع دعا الشاعر لمواجهة همومه الذاتية الفردية وتفاعله مع المجتمع ويعبر وعن نزعته العاطفية والنظرة التي ولد عليها والظروف التي مرَّ بها وهي تختلف من شاعر الى آخر وسلطت الضوء على شاعرين عظيما النسب رفيعا القدر هما الشاعران المتنبي والشريف الرضي اللذان فيهما خصال مشتركة منها النسب العلوي المغصوبة حقوقهم، فهي أحق من غيرها في طلب الرئاسة ومواجهة الدولة. حيث تتجلى عظمة المتنبي وشعورهِ بالذات العظيمة وإنه صاحب قضية تدعوه للمواجهة والثورة بالرماح وبصحب لا يفارقون الحروب وطلب حقهُ بنفسهِ وبغيرهِ فيقول[٤٢]:

سأطلب حقي بالقنا ومشايــخ ... كأنّهمُ من طُول ما التثموا مُردُ
ثِقالٍ إذا لاقوا خِفافٍ إذا دُعـــوا ... كثيرٍ إذا شدوا قليل إذا عُدوا
وطعن كأن لا طعن عِنـــده ... وضربٍ كأنَ النار من حَرهِ بَردُ
إذا شِئت حفت بي على كل سابحٍ ... رجالٌ كأن الموت في فمها شهدُ

فينتقل المتنبي انتقالة أخرى في تأنيب ذاته ونفسه في تحقيق طموحهِ فيواجهُ نفسهُ في التمادي عليها وكم سيتأخر طلب المعالي والتقصير فيه وكم سيبقى في شغلِ نفسهِ ينظم الشعر ومدح من لا قيمة له فهي مواجهة غير مباشرة فيقول[٤٣]:

الى كم ذا التخلف والتواني ... وكم هذا التمادي في التمادي
وشغلُ النفسِ عن طلب المعالي ... ببيع الشعر في سوقِ الكسادِ
وما ماضي الشبـــــابِ بمستَردٍ ... ولا يـــــوم يمـــــرُ بمستعادِ

وعجز الشاعر عن تحقيق أهدافه الذاتية يدفعهُ الشكوى وبقيَّ المتنبي يجاهد الدهر ويصارع الأيام وغاياتهِ تكبر مع الليالي فيذهب للاستعارة والتشبيه ويواجه بشعر غير مباشرة فيقول[٤٤]:

أهُم بُشيء والليالي كأنهـــا ... تطاردُني عن كونهِ وأطارِدُ
وحيداً من الخُلان في كل بلدةٍ ... إذا عظُم المطلوبُ قل المساعدُ
وتُسعدني في عمرةٍ بعد غمرةٍ ... سبُوحٌ لها منها عليها شواهـــد

وتراه يطلب الجود والعلياء وحول المدح ظاهراً والهجاء باطناً وضاق ذرعاً في بلوغ مقصدهِ وإنه أحق بالولاية فيقول[٤٥]:

إذا كسب الناسُ المعالي َالنـدى ... فإنك تُعطي في نداك المعاليـا
وغيرُ كثير أن يَزورك راجـلٌ ... فيرجعَ ملكاً للعراقين وَاليـا
فقد تَهَبُ الجيشَ الذي جَاء غازياً ... لسَانِلك الفردِ الذي جاءَ عافيا
وتَحتَقِـرُ الدنيـا احِتقارَ مجُربٍ ... يرى كل فيَها وحاشاكَ فانيا

ان تعبير الشريف الرضي عن ذاته ((إن كلمة العلا- وكلمة – المعالي- لم يهتف بها خاطرٌ أشرف من ذلك الخاطر، ولم يلهج بها لسانٌ أفصحَ من ذلك اللسان))[٤٦]، وفي مقتبل عمره ينظم قصيدة يقول فيها[٤٧]:

نصافي المعَاليَ والزمان ُمُعانِدُ ... ونـــنهض ُبالآمـــالِ والجَـــدَّ قاعِـــدُ

ويذهب بمواجهة غير مباشرة ويجعل من شعره سلوته الرافضة وذاته المتصدية للمعالي فيقول[٤٨]:

وكل فتىً بالشعر تجلو هُمومهُ ويكتب ما تمُلي عليه المطامعُ
وشعري تخصُ القلوبُ بحفِظِه وتخطي به دون العيون المسامعُ

وتتجلى ذات الشريف الرضي في الحجازيات التي اخترعها الشاعر والتعبير عن عمق احساسه بالمكان الحجازي وهو موطن الأهل والأجداد والذكريات التاريخية وهو المحبب الذي يحمل القدسية الدينية والإرث التاريخي وهو الموطن الذي تطمئن له النفوس والهرب من جو السياسة الذي يعيشهُ في بغداد فأرض الحجاز هو تجسيد للحظات السعادة والعودة بالزمان الماضي البهيج والهروب من الحاضر المظلم. إن الارتباط النفسي للشاعر بأرض الحجاز جعلها الدواء المشافي له بعد أن عجز دواء العراق من شفاءه فيقول(٤٩):

عَدِمت دوائي بالعراق فَرُبما وجدتمِ بنجد لي طبيباً مُداويا
وقولوا لجيران على الخيف من مِنىً تُراكمُ مَنِ استَبدَلتُم بجواريا

ويقول في نص آخر(٥٠):

يا ظبية البان ترعى في خمائِلِـــــهِ ليَهنَـــــك اليومَ أن القلبَ مرعاكِ
الماءُ عندِك مبذولٌ لشاربـــــهِ وليس يُرويك إلا مدمعي الباكي
هَبّت لنا رياح الغورِ رائحـــةً بعـــــــد الرقادِ عرفناها برّياكِ
ثم انثنينا إذا ما هزّنا طـــــربٌ علـــى الرحالَ تعللنا بذِكراك
سهمٌ أصابَ وراميةٍ بذي سَلَمٍ مـــــن بالعراق لقد أبعدتِ مرماك

يُعد هذا النص من أشهر القصائد التي قالها الشريف الرضي وهي ظاهرها الغزل الرقيق، وإن حقيقتها الغزل السياسي والتغزل بالخلافة فنقيب الأشراف والحج وإن الذات التي عند الشاعر هو تأثره في الحجاز وتعويض الحلم المفقود الذي واجه الشاعر من الظلم والتعسف في الواقع والاجتماعي والتغني بأمجاد الآباء والأجداد والنسب العريق وهذه الحجازيات مثلت ارتباطهُ الذاتي بهذه الأرض المقدسة.

الخاتمة

خلاصة البحث أن مصطلح المواجهة هو مرتبط بالذات الانسانية ورفض كل ما يخالف النفس وتختلف المواجهة من نفسٍ الى نفس ومن مجتمع الى آخر ومن عصر الى عصر، والمواجهة هي انعكاس لواقع العصر بجميع جوانبه، ويكشف عن خواطرهم من ظلم وفساد وذل وشعر المواجهة هو نتاج الظروف التي عاشها الشاعر في هذا العصر ويترجم معاناة الشاعر وهنالك عدة دوافع رئيسة دفعت الشعراء للمواجهة منها القومية، والدينية، والسياسية، والذاتية وجدت رفض الشعراء في القرن الرابع الهجري الذي كان واقع العصر المضطرب وتسلق البويهيين وغيرهم وضعف الحكام وقيادة الدولة الاسلامية من غير العرب ولدت لدى الشعراء العرب الدوافع القومية وانتشار المفاسد والخمرة والمجون والابتعاد عن القيم الاسلامية ودفعتهم الى مواجهة دينية. وضعفت الحكام وتسلط من ليسوا أهلاً للحكم وهم الفجور فدفع الشعراء للمواجهة الذاتية وطلب الحكم وقيادة الأمة الى ما فيه خير وسلام. واضطراب الأوضاع التي حلت بالبلاد الاسلامية من صراعات وتناحر من أجل السلطة وضعف هيبة الدولة وكثرة الثورات الرافضة للحكم دفع الشعراء للمواجهة والتصدي لإعادة الأمة الى مجدها وعزها ولا يفوتنا أن الشعراء كانت لهم مواجهات منها مواجهة مباشرة وصريحة في الشعر والمجالس.

ومنها مواجهات غير مباشرة وغير صريحة فتارة يكون الغزل ظاهرها وباطنها الرفض وتارة وصف الخيل والحيوانات خوفاً من السلطان وحاشيتهُ. فكانت ميمية المتنبي في مدح علي بن ابراهيم التنوخي فحول المدح الى فخر له وعروبته وطلب الملك وقد نجده في قصائده أن يدخل نفسه شريكاً لممدوحه والتعالي على ممدوحيه كما هو موقفه من سيف

الدولة واشترط أن يمدحهُ وهو جالس وهي غير عادة الممدوحين والدافع العروبي والنسب الفاخر ومكانته الشخصية وحق مسلوب من أجدادهِ جعلهُ يطلب الملك وهو جدير بذلك ولا يسبقهُ أحد في زمانهِ، وإن هذا الصوت العروبي، لم يكن مجرد شاعر فكشف عن خلجات نفسهِ الداخلية وصراعاته النفسية وإنما يكون والياً والفخر بالأنا وتفاعل ذاته ومواجهة الفشل والإحباط لديه.

أما من جانب الشريف الرضي فهو يشترك مع المتنبي في أشياء منها النسب العلوي الشريف والعروبة العربية وحق مسلوب من أجدادهِ جعله في كافيتهُ الحجازية أن يحول الظاهر الغزلي الى رمز والباطن هو الغزل السياسي والخلافة وإن الولاية السياسية هو أحق بها وهو أجدر من غيره فكان أبوهُ نقيب الأشراف وتسلم هذه النقابة بعد والده وإمارة الحج التي كان يشرف عليها وبقيت هذه الأُمنيات هي أحلام لم تتحقق له وللمتنبي ونسأل الله أن نكون قد وفقنا في بحثنا وفكرتنا هذه والله ولي التوفيق.

هوامش البحث

(١) لسان العرب: مادة وجه، ج٣/ ص٥٨.

(٢) الالتزام في الشعر العربي، د.أحمد أبو حاقة: ص١٤.

(٣) أمل دنقل أمير شعراء الرفض، نسيم مجلي، ص٩٢.

(٤) ديوان بان نباتة السعدي، تحقيق عبد الأمير الطائي/ج١/ص١٣٤.

(٥) شرح المعلقات السبع، للزوزني، ص٨١.

(٦) أدب المقاومة، غسان كنفاني، ص٩.

(٧) شرح المعلقات السبع، للزوزني، ص٨٩.

(٨) ينظر ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، دراسة وشرح وتحقيق، اسماء أبو بكر محمد، ص٧٥.

(٩) ينظر ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، دراسة وشرح وتحقيق اسماء أبو بكر محمد، ص٧٥.

(١٠) ديوان الأعشى الكبير- ميمون بن قيس- شرح وتحقيق- الدكتور محمد حسين، ص٢٥٦.

(١١) شعر الراعي النميري، شرح د.واضح الصمد، ص١١٢.

(١٢) بشار بن برد حياتهُ وشعرهُ، إعداد، د.هاشم مناع، ص٨٥.

(١٣) التطلع القومي عند المتنبي، جاسم محسن عبود، ص١٧.

(١٤) شرح ديوان المتنبي، وضعهُ عبد الرحمن البرقوقي، ج٤/ص٢٦١.

(١٥) المصدر نفسهُ، ص٢٨١.

(١٦) شرح ديوان المتنبي، ج٤/ ص١٧٩.

(١٧) المصدر نفسه ، ج/٤/ص٣١٧

(١٨) المصدر نفسه، ج١/٣٧٩.

(١٩) ديوان الشريف الرضي، ج١- ص٥١.

(٢٠) المصدر نفسه ، ج١-ص١٠٦.

(٢١) المصدر نفسه ، ج٢-، ص٤٥٣.

(٢٢) المصدر نفسه، ج٢-، ص٤٥٤.

(٢٣) ديوان الشريف الرضي، ج١، ص٣٤.

(٢٤) ديوان الشريف الرضي، ج١/ص١٣٠.

(٢٥) ديوان الشريف الرضي، ج١/ص٢٢٠.

(٢٦) نهج البلاغة/ محمد عبده، ص٦.

(٢٧) ديوان الشريف الرضي، ج٢/ص٣٨٨.

(٢٨) المصدر نفسه ج/١، ص٣٦٦.

(٢٩) أبو العلاء المعري، الدكتورة عائشة عبد الرحمن، ص٢١٢.

(٣٠) المصدر نفسه، ص١٩٤.

(٣١) المصدر نفسه، ص١٨٦.

(٣٢) المصدر نفسه، ص١٨٦.

(٣٣) شرح الديوان ج٤/ص١٦١

(٣٤) شرح الديوان ج/٤/ص١١٩.

(٣٥) شرح الديوان، ج٤/ص٣٠٩.

(٣٦) المصدر نفسه، ج٤/ ص٣٤١.

(٣٧) المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٥٢.

(٣٨) أبو العلاء المعري/ الدكتورة عائشة عبد الرحمن، ص٤٥.

(٣٩) شرح اللزوميات ج٢/ص١٧٠.

(٤٠) المصدر نفسه ج٤/ص١٥٦.

(٤١) المصدر نفسه ج/٣/ص٣٣٠.

(٤٢) شرح الديوان، ج٢/ص٩٢.

(٤٣) شرح الديوان، ج٢/ص٧٧.

(٤٤) شرح الديوان، ج٣٩٢/١.

(٤٥) المصدر نفسه ج/٤/ص٤٢٧.

(٤٦) عبقرية الشريف الرضي، زكي مبارك، ص٢١.

(٤٧) ديوان الشريف الرضي، ج١/ص٣٠٥.

(٤٨) المصدر نفسه ج١/ص٦٦٠.

(٤٩) ديوان الشريف الرضي، ج٢/ص٥٧٠.

(٥٠) المصدر نفسه ج/٢/ص١٠٧.

المصادر والمراجع

١) أبو العلاء المعري، تأليف الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، الناشر، وزارة الثقافة والارشاد القومي- المؤسسة المصرية العامة.

٢) أدب المقاومة في فلسطين المحتلة ١٩٤٨-١٩٦٦، غسان كنفاني، منشورات دار الآداب- بيروت- لبنان.

٣) الالتزام في الشعر العربي، د.احمد أبو حاقة، ط١، دار العلم للملايين.

٤) التطلع القومي عند المتنبي، جاسم محسن عبود- منشورات وزارة الإعلام عام ١٩٧٧.

٥) أمل دنقل ، أمير شعراء الرفض، نعيم مجلى، دار الجمهورية للصحافة.

٦) بشار بن برد حياتهُ وشعرهُ، إعداد: د.هاشم مناع، الناشر، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

٧) ديوان ابن نباته السعدي، تحقيق عبد الأمير الطائي، دار الحرية للطباعة.

٨) ديوان الشريف الرضي- صنعهُ، أبي حكيم الخيري، تحقيق عبد الفتاح حمد الحلو، الناشر وزارة الإعلام العراقية.

٩) ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس- شرح وتحقيق محمد حسين، الناشر مكتبة الآداب بالجماهير، المطبعة النموذجية.

١٠) ديوان عروة بن الورد، أمير الصعاليك، دراسة وشرح وتحقيق- اسماء أبو بكر محمد، منشورات دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان ١٩٨٨.

١١) شرح اللزوميات، نظم أبي العلاء- احمد بن عبد الله بن سليمان المعري، تحقيق، زينب القوصي، وفاء الأعصر، د.سيدة حامد منير المدني، إشراف ومراجعة، الدكتور حسين نصار، الناشر مركز تحقيق التراث.

١٢) شرح المعلقات السبع ، للزوزني.

١٣) شرح ديوان المتنبي، وضعه عبد الرحمن البرقوقي، الناشر ودار الكتاب العربي، بيروت- لبنان.

١٤) شعر الراعي النميري، شرح، د.واضح الصمد، دار الجيل، بيروت، ط١، الأولى، ١٩٩٥.

١٥) عبقرية الشريف الرضي، د.زكي مبارك، الناشر المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦.

١٦) لسان العرب، ابن منظور، إعداد يوسف خياط، دار لسان العرب.

١٧) نهج البلاغة، شرح الاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، مكتبة النهضة العربية.

١٨)